3 – الصوت النسوي في رواية «نور» ليوسف زيدان

The feminist voice in the novel “Nour” by Youssef Ziedan

بقلم كل من:

1. كبرى روشنفكر

أستاذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس، طهران، إيران

kroshan@modares.ac.ir

2. فاطمه اكبرى زاده

أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الزهراء، طهران، إيران
f.akbarizadeh@alzahra.ac.ir

3.حميد عليزاده ليسار

ماجستير، قسم الأدب العربي بجامعة تربيت مدرس، طهران، إيران

hamid_40@yahoo.com

1.Kobra Roshanfekr

(Professor at Tarbiat Modares University, Arabic language and literature, Tehran, Iran

2. Fatemeh Akbarizadeh

(Assistant Professor at Al Zahra University, Arabic language and literature, Tehran, Iran

3. Hamid Alizadeh Lisar

Master at Tarbiat Modares University, Arabic language and literature, Tehran, Iran,

Abstract:

The novel is considered one of the most important contemporary literary genres, and due to its abundant size, it provides an appropriate opportunity for conflicting opinions and presenting different voices by the author and characters. This research monitors the manifestations of the Egyptian woman's voice in Nour's novel, aiming to study the voice of women, which is a sensitive issue given the important and essential role that women play in society. This article had written the method of descriptive and analytical approach, using Bakhtin's theory, which indicates the multiplicity of voices. The research concluded that the presence of women's voices, based on their presence and effectiveness in the novel, is greater than that of men, and these voices contain a number of human issues, the most important of which is the suffering of women. Every woman has her own voice, distinct style, point of view, and ideology.

Keywords: women, voice, ideology, Youssef Ziedan, Nour's novel

الملخص:

تعدّ الرواية من أهم الأنواع الأدبية الحديثة ونظرا لحجمها الكبير توفر فرصة مناسبة لتضارب الآراء وعرض الأصوات المختلفة من قبل المؤلف والشخصيات. يرصد هذا البحث تجليات صوت المرأة المصرية في رواية نور، هادفاً إلى دراسة صوت المرأة وهي قضية حساسة نظرا للدور المهم والخطير الذي تؤديه المرأة في المجتمع. وذلك في ضوء المنهج الوصفي التحليلي مستعينا بنظرية باختين والتي تدل على تعدد الأصوات وتوصل البحث إلى أن حضور الأصوات النسوية حسب تواجدهم وفاعليتهم في الرواية أكثر من الرجال وتحتوي هذه الأصوات على عدد من القضايا الإنسانية أهمها معاناة

المرأة. لكل امرأة صوتها الخاص وأسلوبها المتميز ووجهة نظرها وإيديولوجية خاصة بها.

كلمات مفتاحية: المرأة، الصوت، الأيديولوجيا، يوسف زيدان، رواية نور

1-المقدمة:

إن الرواية تبتني غالباً على عدد من الأصوات وكل صوت منها يمثل إيديولوجية خاصة بمجموعة أو طبقة اجتماعية تشكل مجموعة متماسكة ومعقدة من حوار الشخصيات في الرواية.

تتواتر كلمة «الصوت» بكثرة في النقد الأدبي منذ مطلع القرن العشرين، ويقصد ميخائيل باختين بالتعدد الصوتي صراع المواقف واختلاف الرؤى، ويتحقق عبر تمثيل كلام الآخر في الخطاب وعبر الحوارات الخالصة وعبر التعدد اللغوي والتنوع الكلامي. (داودي،لا تا: 27)

وليس حضور المرأة في الرواية بالحدث الجديد، فهي حاضرة منذ الأزل راوية ومروية، منذ ولادة الأدب مع الإلياذة والأوديسة وباقي الأعمال الخالدة، فمع بدايات الرواية العربية حملت كثيرا من الروايات عناوين بأسماء نساء، كرواية زينب لحسين هيكل(1914) و «قبلها زينب فواز في روايتها حسن العواقب أو غادة الزاهرة(1899) أي أنها سبقت هيكل بخمسة عشر عاما ونُشرت في مصر »(صرصور ،2007: 10)وما تلاها من أعمال روائية كثيرة، وفي الكثير منها كانت تعكس معاناة المرأة والغوص في إشكالياتها داخل المجتمع الذكوري، ولأن المبدعين يدركون مدى أهمية المرأة وقدرتها على دفع عجلة المجتمع دفعا قويا إلى الأمام، منتجة أو محفزة أو متطلعة، أو ملهمة، فقد سعوا إلى استحضارها، إما رمزا، أوأسطورة، أوشخصية داخل نصوصهم، لها وزنها ودلالاتها العميقة، تضفي على النص جمالية لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال.. »(طعام،2016: 62-61)

يوسف زيدان كاتب و روائي مصري حصل على درجة الأستاذية في الفلسفة وتاريخ العلوم ونالت أعماله جوائز دولية عديدة و«هو من أهم الروائيين المعاصرين الذين تناولوا قضايا المرأة حتى ليكاد يعد روائي المرأة المعاصرة على غرار شاعر المرأة(نزار قباني)» (الداديسي،2018: 128) من رواياته: (ظل الأفعي/2006) وفيها أعلن

بصراحة عن قيمة وأهميّة الأنثى وموقفه من المرأة خاصةً، (عزازيل/2008) «تكاد تشكل المرأة قضية ثانوية مقارنة مع القضايا الكبرى التي تعالجها رواية لكن ذلك لا يمنع النبش في هذه القضية»(المصدر نفسه، 130) و(النبطي/2010) «حاول زيدان من خلالها إبراز معاناة المرأة في مجتمع رجولي»(المصدر نفسه،133) فإن نظرة زيدان للمرأة تكاد تكون واحدة، فهو في كل رواية منتصر لقضية المرأة متعاطف معها، حتى ليستحيل أن ينافسه في تبني قضايا النساء روائي معاصر.

والرواية (نور/2016) هي القسم الثالث من ثلاثية زيدان وتدور أحداث الرواية في فلك شخص واحد يسرد للقارئ الأحداث من خلال وجهة نظره وتفاعله مع باقي الشخصيات المحيطة به، فلا قصص موازية تتقاطع أو تتشابك مع الخط الرئيسي، إنما هي جميعها خيوط تتفرع من البطل وتعود إليه.

الراوي هنا هي «نورا» بطلة الرواية التي عرفها القارئ في الجزأين السابقين، تلك الفتاة الجامعية «السكندرية» المرحة المنطلقة، التي يعود المؤلف ليقدمها للقارئ وقد صارت أما لطفلة صغيرة تحمل الرواية اسمها «نور."

«والبطلة نورا الفتاة التي عانت بشكل لا يقل عن معاناة الشاب في المعتقل، ولكنها في المعتقل الكبير، معتقل المعتقدات والتقاليد الموروثة والإمكانيات المُهدرة وإشكالية العلاقة بين الإنسانية المؤنثة والسماء، وهذه الرواية قد تصنف ظاهريا على أنها نسوية لكنها في حقيقة الأمر رواية فلسفية لأنها تناقش الموضوعات الثلاثة الأساسية في الفلسفة وهي؛ الله والعالم والإنسان». (عقيل،2016: 15) فإنّه خطابٌ أنثوي مناهض لكل ما تعانيه المرأة العربية من استعباد وقهر، فها هي نورا فتاة مثقفة حالمة تسعى للتحقق والتحرر وترفض استغلالها تحت أي مسمى، تعاني من قهر مجتمعي مستحقر للأنثى، وهي في الرواية جزء من سلسلة أنثوية وضعها المؤلف في ثلاثة أجيال لا تختلف بعض عن بعضها، فبعضهن تأقلم مع النسيج المجتمعي وصرن جزءا منه، والأخريات سقطن في«اللامعيارية» أو اخترن «الهجرة». وهنا يقول زيدان الأجيال الثلاثة النسائية ليست منفصلة، فلم أتحدث عن جيل مستقل عن آخر، وإنما التفاعل جار اجتماعيا وبالتالي فكريا وإنسانيا، عندما تتفاعل هذه الأجيال معا تنتج صورة إنسانية وبالتالي تعكس حال الإنسان في جانبه الأنثوي وتفصح عن دقائق علاقته بالعالم وبالآخر وبالسماء.

(المصدر نفسه)

في رواية «نور» نحتٌ لتفاصيل دقيقة في حياة الأنثى وغوص عميق في مشاعرها وأفكارها، وهي في باطنها رواية نسوية تتفوق على الكثير من الكتابات النسوية النسائية، والأنوثة المتآمر عليها والمراد القضاء عليها واشتهائها في ذات الوقت، فهي المُستعبَدة المطلوبة. المستبعدَة المخشي منها.. (المصدر نفسه).

منهج البحث

ينبني البحث على أساس المنهج الوصفي التحليلي وفى ضوء منهج النقد الاجتماعي مستعيناً بنظرية باختين المبتنية على الأصوات.

أسئلة البحث:

23. كيف تبرز الأصوات النسوية في هذه الرواية؟

24. كيف طرح الكاتب المصري قضايا المرأة في روايته؟

25. ما هو صوت الشخصية أكثر وضوحا من صوت الشخصيات الأخرى في الرواية؟

خلفية البحث:

هناك كثير من البحوث تناولت شخصية المرأة في الروايات العربية المعاصرة إلا أن التأكيد على الصوت النسوي قليل جداً. قام أوريدة عبود في مقالة «صوت المرأة في روايات عبد الملک مرتاض»(2012) بدراسة صوت المرأة مركزا بالحالة الاجتماعية والتاريخية والسياسية، معتمدا في تحليله على المنهج الوصفي التحليلي. ولقد وصلت هذه المقالة إلى أن مرتاض اعتنى بالبعد الخارجي والنفسي والعقلي لكشف أصوات نسائية وبرزت تعدد الأصوات النسائية بواسطة صراع الشخصيات فيما بينها.

وقد رصد محمد حسن عبد المحسن وزهراء النجار في مقالة «تجليات الصوت النسوي في الرسائل الخاصة»(2011) تجليات صوت المرأة العربية حتى أواسط القرن العشرين وتعبير المرأة الأدبية عن وجودها وحقوقها ومعاناتها في المجتمع الشرقي وسيركز البحث على المنعطفات الجوهرية في علاقة المرأة بالأدب ولم يتبع الدارسان منهج باختين في

تحليلهما ولذلك لم يتطرقا الى تعدد الأصوات والمواقف الايديولوجية.

وأطروحة دكتوراه لسامية داودي بعنوان«صوت المرأة في روايات إبراهيم سعدي»(لاتا) قامت بتطبيق نظرية باختين ورواية الأصوات وتناول سامية داودي الحوارية أو أشكال حضور الآخر في الخطاب والتعدد الصوتي. وقد استنتج الباحث أن تعامل النص الرواية مع صوت المرأة الذي غير الكامل وغير الواثق من نفسه بل هي الصوت الصدي.

وأطروحة دكتوراة لفاطمة اكبرى زاده بعنوان«دراسة مقارنة بين روايات أحلام مستغانمي وزويا بيرزاد في ضوء نظرية تعدد الأصوات لباخيتن»(2014). قد قامت هذه الأطروحة بدراسة مقارنة بين روايات أحلام مستغانمي و زويا بيرزاد من منظور باختين وقد تبين الحوارية و تعددية الأصوات ثم تحليل الروايات النسوية المدروسة حسب الآراء النقدية. يحاول البحث أن يكتشف خصائص الكتابة النسائية، لكن في إطار نظرية سوسيونصية لباختين، يكون منهج بحثها على أساس نظرية الحوارية و تعددية الأصوات علاوة على ذلك الكاتبة تتناول في قسم التطبيق على المنظور الأيديولوجي قضية الوطن و المرأة.

2-القسم النظري

1-2-الصوت: (كلمة و فكرة)

قال لطيف زيتوني في معجمه النقدي معرفا الصوت «الصوت إذاً هو صوت المتكلم، بل هو المتكلم عينه»(زيتوني،2002: 117)

أ: الأصوات هي كلمات وأفكار وأشكال من الوعي ووجهات النظر:

لم يعط باختين تعريفا دقيقا للصوت/ الأصوات بل ربطها بجملة من الكلمات تحدد معناها وتفسّر عملها وتضبط مجال تحركها. يقول:

26. الأصوات: «كلمات ذات قيمة دلالية كاملة»(باختين،1986: 24)

27. الأصوات:« أشكال وعي مستقلّة»(نفس المصدر)

ولا نكاد نميز بين كلمتي أصوات وأفكار في فقرات عديدة من كتابات باختين، جاء في شعرية دوستويفسكي:

الأصوات- الأفكار المتراصّة وغير قابلة للاجتزاء.

28. يرى ظهور الأصوات –الأفكار الجديدة.

29. الأصوات– أفكار سواء منها ما قائم وما هو في طور الولادة والظهور.

30. الأصوات أفكار غير منجزة ومفعمة بالإمكانات الجديدة.(نفس المصدر،130)

الأصوات ← أفكار
← كلمات
← وجهات نظر
← أشكال من الوعي
← مواقف إيديولوجية

يدرس ميخائيل باختين روايات دوستويفسكى(1881–1821)، ويلاحظ أن كل شخصية من شخصياته تملك صوتها الخاص داخل النص وهي في حالة علاقة مستمرة بالشخصيات الأخرى، ويستخلص مفهوم البوليفونية الذي يعني تعدد الأصوات وأشكال الوعي المستقلة في الرواية، ولا تنحصر البوليفونية الأدبية في التعدد الصوتي بل تتعدّاه لتستوعب وجهات النظر والعوالم الإيديولوجية.(داودي، لاتا: 14)

ب:الصوت/الوعي/وجهة النظر

يربط باختين الصوت بالوعي ووجهة النظر الى العالم. فهو يميل الى الاعتقاد بأن الإيديولوجيا ذات طابع استكشافي ومعرفي، أي هي معرفة للعالم التي تولد في ممارسة الكلام، وليست نتاجا للحياة الاجتماعية فقط؛ بل تقوم بانتاج العلاقات الاجتماعية المعيشة وتعيد إنتاج هذه العلاقات. فعندما يتكلم الفرد، يصدر ايديولوجيته عبر ملفوظاته انطلاقا من وعيه(مارتين،1382: 112)

هذا وقد لخّص حميد لحمداني العلاقة بين الفرد والمجتمع واللغة كما حددها باختين في المخطوط التالي:

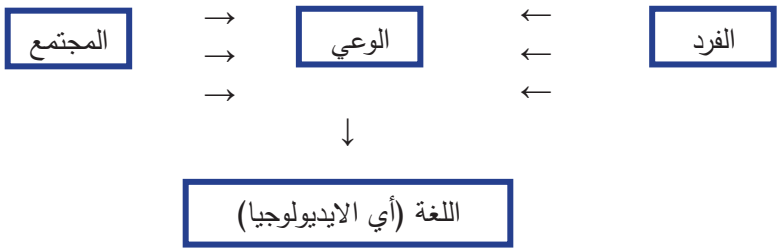

وتشارك الأطراف الثلاثة:الفرد والمجتمع واللغة في تشكيل الوعي وتجسيده ماديا، فالوعي الفردي يعدّ وحدة غير منفصلة عن الوعي الكلي للجماعة التي يرتبط بها الفرد"الوعي في كثير من الأحيان نتاج مباشر للواقع الاجتماعي، باعتبار أن ذلك الوعي لا بصدر من عدم ولا يعمل في فراغ"(برّادة،1996: 80)

يمكن التعرف من سلوك الشخصية إلى إيديولوجيتها، كما يقول ميخائيل باختين: **إن فعل الشخصية وسلوكها في الرواية لازمان، سواء لكشف وضعها الإيديولوجي وكلامها، أو لاختبارهما»**(باختين،1987: 102)فالإنسان في الرواية يفعل وفعله هذا يقترن بكلمة، بفكرة إيديولوجية، ويحقق موقفا إيديولوجيا معينا.

2-2-الصوت والشخصية

الشخصية/ الصوت مفهوم متطور على يدي باختين، إذ أنه ربط بين الشخصية والإيديولوجيا، لدرجة أن جعلها موقفا فكريا ووجهة نظر، وتوصل لذلك من خلال روايات دوستويفسكي، حيث قال: «البطل يهم دوستويفسكي بوصفه وجهة نظر محددة عن العالم وعن نفسه هو بالذات، بوصفه أيضا موقفا فكريا، وتقويما يتخذه إنسان تجاه نفسه بالذات وتجاه الواقع الذي يحيطه"(باختين،1986: 67)

وضح باختين ما يجعل من الشخصية موقفا فكريا باعتبارها الشكل الأبرز من المتكلمين، حيث قال: «من الواضح أن الإنسان الذي يتكلم ليس مُشخّصاً وحده وليس فقط بوصفه متكلما. ففي الرواية يستطيع أن يكون فاعلا على نحو لا يقل عن قدرته على الفعل في الدراما أو الملحمة،إلا أن لفعله دائما إضاءة إيديولوجية. إنه باستمرار فعل مرتبط بخطاب، وبلازمة إيديولوجية، كما أنه يحتل موقعا إيديولوجيا محددا.إن فعل

الشخصية وسلوكها في الرواية لازمان،سواء لكشف وضعها الإيديولوجي وكلامها،أو لاختبارهما»(باختين،1987: 102)

فالشخصية تنجز أفعالا انطلاقا من منظورها الخاص ومواقفها الإيديولوجية، فتأتي لأفعال منسجمة مع الإيديولوجيات؛ ف«فعل بطل رواية ما مبرَّز دائما من طرف إيديولوجيته»(المصدر نفسه،103)

إن أول ما يلفت الانتباه لتشكل الموقف الفكري أو الإيديولوجيا من خلال الشخصية هو عنصر الفعل، فأفعال الشخصيات مساهمة في بلورة الصوت، وتكون أيضا ذات إضاءات إيديولوجية.

لما جعل باختين من الشخصية حاملا لإيديولوجيا معينة، جعل تعددها سببا في إحداث تعدد الأصوات، وقد أكد عبد الملك مرتاض على ذلك قائلا: «تتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود»(مرتاض،1998: 73). فكلما تعددت الشخصيات المختلفة في الأسماء والملامح والأفعال، تعددت وتصارعت المنظورات والأصوات والإيديولوجيات.

3-2-الأدب النسوي:

الأدب النسوي هو الأدب الذي يكون النص الإبداعي فيه مرتبطا بطرح قضية المرأة والدفاع عن حقوقها دون أن يكون الكاتب امرأة بالضرورة(أبونظال،2002: 276)

1-3-2-الصوت النسوي:

تركز الرواية نور أساسا على قضايا الإنسان لهذا تمثل الأصوات الروائية مركز الأفكار ومجال المعاني التي تدور حولها الأحداث، ولهذا فمن الضروري أن تؤكد كل الأصوات على المعاني الإنسانية والأفكار العامة.

يعد صوت المرأة عنصرا هاما في عملية القص، نلمح فيه وجهة نظر المجتمع إلى المرأة في علاقاته اليومية، تنعكس في وعي الروائي ومواقفه ووجهة نظره كموضع أدبي. حضر صوت المرأة في الرواية، وصار له طبيعة جوهرية على مستوى النص.

يرصد يوسف زيدان صورا متعددة للنساء، مقترنة بالحالة الاجتماعية ، التاريخية، السياسية والدينية. فالصورة المحولة للمجتمع المصري أفرزت تعدد الأصوات النسائية.

تنوعت الأصوات النسائية في رواية نور وحملت كثيرا من التحولات الفكرية، ولعلّها أصبحت من أهم الأسباب في تغيير أوضاع الشعب المصري وسياسته، بحيث إن بعضا من هذه الأصوات صالحة لأن تكون نماذج إنسانية لاجتلاب ألباب الناظرين.

4-2-تعدد الأصوات:

يقول باختين:«الرواية تنوع كلامي (وأحيانا لغوي) اجتماعي منظم فنيا وتباين أصوات فردية»(باختين،1988: 11)

إذن تبدو الأصوات في الرواية، متباينة ومتعددة، ومختلفة باختلاف مشاربها وتوجهاتها الإيديولوجية ، ومدى أصالتها أو تبعيتها الثقافية ، إضافة إلى تنوع إنتماءاتها .

الروايات البوليفونية قائمة على تعدد الأصوات [1]تعدد الرواة، والمتعدد ثقافيا[2]،وتيار الوعي[3]،والعلاقات التناصية[4]، واستخدام لغة الشعر،والخطاب. وجود هذه الخصائص يوفر الأدوات المناسبة للقارئ بحيث أنه تحصل نظرة جديدة على القصة. (حسن زاده والآخرون، 1391: 11) بمعنى أن الرواية البوليفونية هي التي تعتمد على تعدد المواقف الفكرية، واختلاف الرؤى الإيديولوجية، وترتكز كذلك على كثرة الشخصيات والرواة والسراد والمتقبلين، وتستند إلى تنوع الصيغ والأساليب.

3-دراسة رواية نور

1-3-تعدد الأصوات

من أبرز ملامح الروايات المتعددة الأصوات في رواية نور، هو استخدام أسلوب التناص في جميع أنحاء الرواية وصفحاتها.وقد استخدم الكاتب نصوص مثل الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والشعر. فيكثر فيها التناص بشكل ملحوظ.

استحضار الأشعار في لغة الرواية تشير إلى مقدرة الكاتب في تهجين هذه اللغة

(1) - Polyphony
(2) - multicultural
(3) - Stream of Counsciousness
(4) - Intertextual

الشعرية في لغة الرواية وإقامة التناص بين هذه اللغات، وتكون دالة على صوت آخر يتماشى مع أفكار وأيديولوجية بطلة الرواية أو يمكن أن يؤثر عليها.

بزرت في جسد الرواية أشعار من شاعر صلاح عبد الصبور التي تدل على تعدد الأصوات في هذه الرواية.

يا ربنا العظيم،

يا مُعذّبي،

يا ناسج الأحلام في العيون..

اخترت لي! لَشَدّ ما أوجعتني

ألم أخلص بعد؟

أم تراك نسيتني

الويل لي. نسيتني

نسيتني

نسيتني(زيدان،2016: 13-12)

توجد نماذج كثيرة من التعابير الدينية من خلال لغة الرواية في نطاق السارد أو نطاق الشخصيات مثل «المأذن» و«المساجد» و«الأذان» و«أسماء إلهية» و.. ضمن خصيصة التعددية اللغوية للرواية.(م.ن: 7، 15، 115)هناك يوجد التناص القرآني في الخطاب الروائي عبر إستحضار النصوص القرآنية، مثلما يوجد في الكلمة لحبيب البطلة(محمد)؛ حيث يقول:

«..ودلوقتِ، الحمدالله، في أيدينا معظم النقابات واتحادات الطلاب، وأهو كل يوم بيتحقق وعد ربنا، لما قال» أن الأرضَ يرثها عبادي الصالحون» صدق الله العظيم. يعني الفرج قريب بإذن الله»(م.ن: 231)

قد استخدم الكاتب في هذه الرواية أسلوب تيار الوعي وهو « نمط جديد في كتابة القصة التي تقل دور الكاتب فيها على عكس النمط الكلاسيكي، في الحقيقة يكون الكاتب

في مكان مراقب ومحايد؛ يحاول تسجيل والتقاط جميع حالات العقل للشخصيات، ويعطي أفكار الشخصيات وعواطفهم مباشرة ودون أي رقابة إلى القارئ».(مشفقى، 182:1389) في رواية نور، بالإضافة إلى تقليل دور الكاتب في فضاء الرواية، إن الكاتب شاهد على أفكار وآراء الشخصيات المختلفة .

إذن برز تعدد الأصوات النسائية في رواية نور بواسطة صراع الشخصيات فيما بينها، دون أن ينصهر الروائي بين صوت وآخر. كانت الأصوات موازية من حيث الدور والفاعلية وقد تباينت مواقعها الاجتماعية واختلفت مرجعياتها العقائدية. فلكل امرأة صوتها الخاص وأسلوبها المميز ووجهة نظر خاصة بها.

فالأصوات والأفكار التي تطرح في هذه الرواية تشمل على المجالات العامة والفردية:

الأصوات العامة: حق الطلاق، الحجاب والسفور، إحتجاجا على المجتمع والإسلام التقليدي

الأصوات الفردية: النجاسة، معاناة المرأة

2-3-الأصوات العامة:

1-2-3-حق الطلاق

لاشك أن قضية الطلاق كقضية اجتماعية نفسية تعد ظاهرة عالمية تعاني منها معظم المجتمعات المختلفة فهي تمثل ظاهرة معقدة حيث تلاحظ في الرواية هذه أن ياسمينة تقصّ على نورا بعض القصص: **أخت زوجها تزوجت خمس زيجات فاشلة وطلقت من زوجها الرابع لرفضه سفرها عدة أيام مع صديق لها إلى رحلة «سفاري» بوسط إفريقيا، فرأت أنه «رجعي» وأصرّت على السفر وسافرت، وبعد عودتها عادت إلى زوجها بعد إصلاح الحال بينهما، لكنها لم تستطع البقاء معه أكثر من شهرين، لأنها لم تقدر على نسيان إساءته لها يوم اعترض على سفرها.(زيدان،2016: 93)**

واللافت للانتباه في هذا المقطع الرغبة في انتقال حق الطلاق عموما من الذكر إلى الأنثى. ولكن على عكس ذلك، تريد المرأة الطلاق لأنها لم تقدر على تحمل اعتراض زوجها على سفرها. قالت نورا لياسمينة: **إن الزوجة لا تستطيع السفر بغير إذن زوجها، قانونا! فقالت إن القوانين تنطبق على الفقراء وعوام الناس، وأهل زوجها ومعارفهم**

أغنياء بشكل فاحش.(زيدان،2016: 94)

إذن نقف عند ظاهرة اجتماعية مهمة هو : الطلاق، حيث يتعرض السرد لمعاناة الأنثى في ظل مجتمع بروجوازي ينطبق قانون الطلاق على الفقراء وعوام الناس فقط.كما قالت سيمون دي بوفوار«وما زالت البروجوازية المحافظة ترى في تحرر المرأة خطرا يهدّد عرفها ومصالحها»(دي بوفوار،2015: 23) علاوة على ذلك المقطع المذكور إحتجاج على الفقه الإسلامي الذي يقول إن المرأة لا يجوز لها أن تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه.

2-3- 2-الحجاب والسفور

شغلت قضية السفور والحجاب العالم الإسلامي، ولا تزال تشغله، وانقسم الناس إلى دعاة للسفور والتحرر، ودعاة للتحجب، ولم تنته القضية في بلادنا بل إنها تشهد تطوراً، فالسفور يتطور ويحرص على اتباع الموضة، والحجاب يعرف ألوانا وأشكالا مختلفة، تنشد الزينة تارة وتحمل توجها إسلاميا أحيانا. (مفقودة،2009: 185)

صارت المرأة تتحايل على الحجاب، ولبس العباءة كما في بعض المجتمعات التي ترى هذا اللباس رمزا للعفة والشرف، وترى بعض الفتيات عكس ذلك، فالعباءة وحدها الطريقة للوصول الى الآخر الذكوري.

«الفتيات كن يفرحن بارتداء الحجاب، أو يُظهرن الفرح. بعضهن سعدن به، لأنه يظهرهن أكثر براءةً، فتتوافر فرص زواجهن. وبعضهن تديّن فعلا، فاقتنعن بأن الحجاب شرط واجبٌ على كل أنثى. وبعضهن كنَّ يردن أن الحجاب، يبرز الأنوثة أكثر! أما أنا(نورا)، فكان رضوخي للحجاب هو أول هزائمي»(زيدان،2016: 44).

وهذا انتقاد صريح للباس الشرعي الذي صممّه الإسلام للمرأة والذي أصبح يتعارض مع أفكارها الجديدة التي آمنت بها كسلوك يوميّ تتسم به شخصيتها المتفتحة على هذه الأيديولوجية العابرة عن المكان، ولم تعد تتماس مع القيم الإسلامية في حياتنا الثقافية والاجتماعية. تخيل بطلة الرواية الحجاب سبب لمعاناتها .

1-2-2-3-الحجاب والمثقفة:

ينظر بعض الباحثين الى المثقف على أنه ذلک الإنسان الذي تلقى تعليماً منظماً في مدرسة أو معهد أو جامعة، وحاز بنتيجة ذلک شهادة علمية. وبناء عليه فإن المثقفين «فئة من المتخصصين في تخصصات عملية أو علوم إنسانية، وتتسع هذه الفئة لتشمل المحامين والأطباء والصحفيين والأكاديميين ومعلمي المدارس والاقتصاديين والفنيين، والمهندسيين» (وتار،1999: 13-12). ويرى بعض الباحثين أن مفهوم المثقف لا يقتصر على المثقف المختص بشؤون الثقافة، أو الحائز شهادة علمية من مدرسة أو أكاديمية، بل ثمة نمط آخر تتشكل ثقافته من خبرة الحياة اليومية، ويسمى المثقف بالخبرة.ويتميز هذا النمط من المثقفين، بما يلي:

أ: يظل أسير الواقع المحلي

ب: يلتزم بقضايا مجتمعه

ج: لا يعاني من الاغتراب الثقافي حجازى، 1988: 23)

يكون رأي المثقف عن الحجاب بأنه يعدّ كعادة اجتماعية والحجاب عادة يهودية والإسلام لم يأمر به يعني في الحقيقة يعود الى التقاليد المتوارثة من المجتمعات القديمة علاوة على ذلک إظهار هذا الموضوع بواسطة شخصية المثقف يعني د أبو اليزيد مشير الى ضرورة النظرة إلى التقاليد، وقراءته في ضوء الحاضر، وقراءة الحاضر في ضوء الماضي وذلک من أجل خلق تواصل بين الماضي والحاضر ثم قبوله أو رفضه. سألت (نورا) من د. «أبو اليزيد» عن قضية الحجاب :**فأجابني تغطية الشعر بمنديل هي ظاهرة اجتماعية لافتة للنظر،ما كانت مصر تعرفها حتى وقت قريب الا في الريفيات اللواتي يخرجن إلى الحقول تحت الشمس، وفي الخادمات اللواتي يخشى أن يتناثر الساقط من شعرهن في أنحاء البيت. وتاريخيًا، الحجاب والنقاب عادة يهودية قديمة ما كان العرب يعرفونها ولا يعترفون بها قبل الإسلام،لكن هذه المسألة صارت مؤخرًا ذات بعد سياسي غير معلن، لأنه يدعم بشكل هادى الاتجاهات الإسلامية المتشدّدة،ويؤكد حالة الاستغناء العام عن الدنيا أملا في امتلاك الآخرة، وهي فكرة تريح الذين يحكمون..**(زيدان،2016: 44) فإن د.أبواليزيد أيديولوجية الإنسان المثقف،

صاحب المواقف والقيم الذي يسعى إلى تطبيق هذه القيم على المجتمع وتغييره.

قال أبو يزيد في موضع آخر: **إن الحجاب فخ وقعت فيه معظم النساء بالنواحي المصرية، الشعبية منها وغير الشعبية...(زيدان،2016: 45)**

فصوت المثقف أو إيديولوجيته(د.أبويزيد) يشجع بطلة الرواية على التأمل والفكرة عن قضية الحجاب والاتجاهات الإسلامية المتطرفة عنها.

نورا عبد السلام هي نموذج لمرأة المثقفة التي لم تستسلم ولم تتراجع ولم تفشل ولم تلجأ إلى الفرار والهروب على الرغم من معاناة الدائمة .

رغبة نورا تميل الى حرية الفكرية في المجتمع وحرية العمل وحرية السلوك:**لا حياةَ إلا بحرية الرؤوس مما بداخلها، ومما يغطّيها ويحجب عنها ضوء الشمس. أنا الآن حية لأنني حرة، من حجابي و من بؤس ما سبق ومن خوف الأيام المقبلة.**(زيدان،2016: 139)

يلاحظ صوت المخالف بطريقة سخرية وهزلية حول الحجاب بين ياسمينة ونورا في الحوار التالي:

ياسمينة: **وليه كل الستات هنا متحجبة كده؟**

نورا: **عايزين يدخلوا الجنة...**(م.ن: 92)

في هذه الرواية،تنعكس أبعاد مختلفة من الشخصيات بشكل جيد. انعكس في جزء من الرواية، صوت صديق نور«ياسمينة» التي تبرز شخصية بارزة من شخصيات الرواية، أفكارها عن الحجاب تركز على العفة أكثر من الستر الظاهر بعدما طلقت ياسمينة من زوجها العقور «**لم تحتجب عن الناس وعن ذاتها كالمطلقات، ولم تتحجّب كالمتدينات بطرحة أو ستر رأس. لأنها تؤمن بأن العفة فكرة في الرأس وليست سترا ينسدل ليخفي الشّعر، وشعر المرأة غير مثيرٍ بأكثر من بقية أسلحتها كنظرتها ونبرتها وطريقتها في المشي**»(م.ن: 113-112) إذن ينبغي أن يكون العفة في ذهن الشخص، لا تغطي لإخفاء الشعر، هنا يعبر الكاتب عن صوته المتعارض مع الأصوات الدينية التي يعتقد بالغطاء وبالحجاب، ويعبرون عن صوتهم المعارض. على سبيل المثال، فإنه يأتي من ضوء الرواية.

غرقت نورا في أفكارها وقررت ترك الحجاب حينما رأت صديق وقته في جامعة (نيرة)، حيث كان مدرس التاريخ:

« ...**ولا بد لي من العناية بنفسي وشراء ملابس جديدة تناسب حياتي الجديدة وخروجي متحررة من الحجاب.(م.ن: 141)** مع ترك الحجاب تفكر إلى : **ماذا لو رآني أحد الجيران السابقين، بلا حجاب؟(م.ن،141)** وقال نورا لنفسه: **ليراني من يرى، فليس لأحد حقٌ في محاسبتي على مظهرى أو أفكاري، أنا لا أتعدّى فأتخطى الحدود مع الآخرين، ولن أسمح لهم بالتعدي على حدودي(م.ن:142)**

حديث النفس أفضل الطرق لإيصال الأحوال الباطنية التي تضمر في الشخصية. في هذا الجزء من السرد يبرز حديث النفس للبطلة، وفي هذا أصبح صوت المجتمع والمجتمع المصري واضحا تماما لأولئك الذين لا يرتدون الحجاب حتى نورا تخشى أن يراها أحد من جيرانه دون الحجاب وتحاول أن ترضى بأن لا أحد له الحق في محاسبتي من أجل أفكاري. وهي تلجأ إلى حديث النفس لتتضح مدى معاناتها وآلامها. وهذا الأسلوب في إستحضار الفكر يعتمد على المزج بين فكر الشخصية المتحدثة حديثا باطنيا وبين فكر السارد ورؤيته.

3-3- الاحتجاج على المجتمع:

وهو صوت عال يغطي جميع الأصوات ويحدد ذلك، صوت خطاب المرأة وما يتعلق بالمرأة، يتحدث الراوي عن ضعف المرأة ووضعها غير المتكافئ في المجتمع المصري؛كما يوصف في الرواية: «**وهي (أمل) ضعيفة كمعظم النساء ومحبطة**(زيدان،2016: 86) وكما انعكس صوت المرأة احتجاجاً على المجتمع بهذه الطريقة الحوارية في الرواية«**قلتُ: يا آنسة، المجتمع العجيب بتاعنا ده، فاكر في نفسه إنه ذكورى، بس هو أساسا بعيد عن الذكورة وعن الأنوثة، لأنه أصلا بعيد عن الإنسانية. وبصراحة أكثر هو مجتمع متخلف.**(زيدان، 2016: 42) يحاول الروائي أن يوصل الصوت الإنساني ويجعله حتى يتغلب على صوت الذكورة والأنوثة.

«المعاناة والشعور بالوحدة تشكل سمة واضحة في شخصية المغتربين وسلوكهم، فالاغتراب نمط من التجربة يعيش الإنسان المغترب من خلال هذه الظاهرة المرضية

كشيء غريب، والاغتراب يشكل تنافراً بين الطبيعة الجوهرية للشخص المغترب ووضعه وسلوكه الفعلي».(درابسة،1992: 115)

«**أفلام الكارتون الملونة تفصلها عن واقعنا الشاحب، وقد تجعلها مع مرور الوقت مغتربة عما حولها، مثل«ياسمينة» ومثلي وكثيرين غيرنا...معظم الناس في بلادنا مغتربون بالداخل والخارج. أمل المغتربة جدا...**»(زيدان،2016: 96) الشخصيات المذكورة هي النساء وقد صارت اغتراب المرأة واضحة في بلاد مصر وفي الحقيقة أن النساء يشعرن بالغربة في هذه الرواية لذلك لم يحظ باهتمام كبير عليهن في ذاك المجتمع. فيلاحظ تغيير سلوك أمل «أصبحت اللامعيارية» (م.ن.105)، ياسمينة«أصبحت تارك الصلاة»(م.ن: 94)، نورا«أصبحت دون الحجاب»(م.ن.135)إذن أحد الأسباب تغيير سلوك الشخصيات ممكن أن يكون الشعور بالغربة.

«**الحياة في مصر لا تطاق، وهي(ياسمينة) الآن تسعى للحصول على الجنسية البريطانية كي تشعر بآدميتها.**»**(زيدان، 2016: 131)** تغيير الجنسية المصرية إلى البريطانية بواسطة ياسمينة يشير إلى أن سكان البلاد غير راضين عن نوع المعيشة والحياة المصرية. كل إنسان يحتاج إلى أن ينظر إليه وأن يسمع صوته ومن ناحية أخرى نحن نرى المجتمع المصري المشار إليه في الرواية المرأة ليست لها قيمة ولا تستحق كما ينبغي، وربما يعارض مع ما يعرفه في المجتمع.

هذا ضمن ما يقول باختين: **بأن الأصوات:**« **أشكال وعي مستقلّة**» (باختين«1»،1986: 24) فإن صوت احتجاج المرأة على المجتمع يجعل قارئ الرواية على الوعي بأوضاع المجتمع.

عدم الإفصاح والستر مأساة المجتمع الذي لم يوجد حرية التعبير فيه «**فمثل هذه الوقائع عديدة، لكنها مسكوتٌ عنها لأن مجتمعنا يميل بطبيعته إلى الستر، ولايحب الإفصاح.(زيدان،2016: 186)**

قالت نورا في مقطع التالي:

لو كنا نعيش في مجتمع غربي، غير معقّد، لكنتُ ألقيت بنفسي في حضنه(زيدان،2016: 181)

وفي مثل هذا المجتمع فإن المرأة تعاني للتعبير عن مشاعرها وإظهار اهتمامها لعشيقها لأن المجتمع الإسلامي المصري يبغض الحب ويرفضه

4-3- الاحتجاج على الإسلام التقليدي:

تدعو الكاتب لإصلاح الخطاب الديني، والإبتعاد عن التقاليد الممتزجة بالخرافات والأفكار الدخيلة على الإسلام. وفي نفس الوقت تدعو لفهم الإسلام فهما جديدا، عن طريق إعادة فهم وتفسير القرآن والسنة «**كان خطيب المسجد يقول إن الفقراء هم أحباب الله، والعيال الصغار أيضا أحباب الله. سألت نفسي: وهل الأغنياء وكبار السن أعداء الله؟**»**(زيدان، 2016: 160)** في الواقع، ينتقد الكاتب من خلق الأسئلة في ذهن نورا عن الموقف السلبي للخطيب الذي يمثل الإسلام تجاه قضاياهم الاجتماعية والنظرية.

يلاحظ في خطاب نورا صوت الاحتجاج حتى ضد الله:» **أسماؤك تحيرني، أراها تجمع بين النقيضين اللذين لا يجتمعان. محسن ومنتقم، رءوف وجبار، رحيم ومعذب بالنار. وكلها مذكرة، مع أن خلقك نصفه إناث، وكله بالإناث. أليس لنا اسم واحد مؤنث، أو نبية واحدة تفهمنا ونفهمها وتفصل بالقول الحق بين الحزانى والحكام، بين الثكالى والثقالب، بين المهزومات الضعيفات والناصر القوي القاهر شديد المحال؟ آه يا وجعي.(زيدان،2016: 103-102)**

ممكن أن يتبادر إلى ذهن القارئ المذكر بعد قراءة هذا القسم من الرواية «نحن ربما أن نكون الجنس متفوقة !؟» وفي المقابل هذا التفكير ينشأ هذا السؤال للقارئ المؤنث « لماذا لم تصبح امرأة نبية؟» تبرز صوت الاحتجاج بواسطة سوء الظن بأسماء إلهية وإختيار النبي في ذاكرة بطلة الرواية عبر حديث النفس.

الرجال سواء، وللنساء السوءات. انا النساء، وأسوأ السوءات أنا. وأنا المطيعة، والمريعة، والخليعة إن اقتضت المشيئة. والفريسة أنا. أنا فريسة سواد الناس، المراد سترها بالاسوداد.(زيدان،2016: 103)

إن صوت المرأة احتجاج على خلق الرجال وهيمنتهم على النساء وقد عانت بطلة الرواية بالمعاناة بوسيلة الرجال والاعتراف بالذلالة وانهيار النساء أمام الرجال في مجتمع ذكوري.

إن الإنسان مهما ورث من صفات فإن الصفات التي يكتسبها من البيئة المحيطة به وعن طريق التربية هي التي تكون صفات شخصيته وشكلها النهائي. ولهذا لا بد لنا أن ندرك أهمية التربية الصحيحة منذ الصغر. وقد أثبت علم الوراثة الحديث أن الصفات المكتسبة عن طريق التربية تورث من جيل إلى جيل، وأن الإنسان عن طريق التربية منذ الصغر يمكن أن يكتسب صفات جميلة نفسية وجسمية واجتماعية وأن يورثها لأطفاله. (السعداوي،1990: 69)

قالت نورا لحبيبها محمد (الذي يريد أن يتربى بنتها تربية إسلامية): **أريد أن أربي ابنتي تربية إنسانية، وعن الخجل من كونها أنثى، وسوف تكبر على الفخر بأنها أنثى.. تعرف الحب لا الحرب، تسعى للعمار لا الدمار. وستكون دوما حرة ومعتزة بأنها أنثى.**(زيدان،2016: 249-248) و هو صوت الأمومة التي لا تتمنى لبنتها إلا الخير والتوفيق والسداد. وصوت الأمومة التي لا تريد لطفلها إلا الحب والعمار والحرة والإعتزاز بأنوثته.يوجد فى مقابل هذا الصوت صوت أبوية يدعي تمثيل الإسلام ويريد أن يتربى إبنته تربية إسلامية أما إمها التي تكون صوت معارض للاسلام لا تقبل ذلک وتريد أن تتربى تربية انسانية. فتبرز تعارض الأصوات وتعدد الأيديولوجيات بين الوالدين عبر الحوار المذكور.

4-الأصوات الفردية:

4-1-النجاسة:

وعبر امتداد الحوارية الروائية، يبرز الخطاب الديني كمظهر للتفاعلات النصية في جسد الرواية عن بعض التعاليم الشرعية الإسلامية حيث تعد أحكام الطهارة من أبواب الفقه الإسلامي.

بعدما توضأت، انتظارًا لموعد الصلاة. ثم سخرتُ من سهوي حين انتبهتُ فجأةً إلى أنني في نهايات دورتي القمرية. أحكام عجيبة. الأيام المسماة «نجاسة» يحظر على النساء الصلاة خلالها، حتى يتطهرن! ولا أجد معنى لجعل المرأة كل شهر نجسة... اسكتي يا نورا، فالوقت الآن غير مناسب لأي اعتراضٍ، واسكني. أسكت افكاري و سكنت..(زيدان،2016: 24)

وقالت نورا في نفسها ما معنى قولهم لا يتنجسون الرجال إلا بملامسة النساء! ووجب عليه الغُسل ليتطهر بالاستحمام. فإن كانت امرأته حائضا وجب عليه أصلا اجتنابها. (زيدان،2016: 84) ففكرة نجاسة المرأة في العهد القديم موجود في عصرنا الراهن، لذا لجأ بطلة الرواية إلى كسر الحواجز والقيود والتعبير بكل الجرأة عن رفض الأفكار التقليدي لآفات اجتماعية في حياتها.

صوت نورا محوري، قدم بتقنيات متنوعة. عن طريق الحوار والسرد، ولم يقدم الصوت دفعة واحدة، وإنما ظلت ملامحه تبرز على طول الرواية.

إن نورا فتاة مصرية من بنات «الإسكندرية» ، فيها ثقة وصدق،... وقد جاءت في هذه الرواية حية بحركاتها وسلوكها وقولها لارتباطها ارتباطا بكل شخصيات الرواية. كانت مشجعة لهم وضميرهم الحي. «فخلود الصوت الروائي لا يتحقق بفضل أطروحاته، وخطابه الإيديولوجي بل بفضل غناه الإنساني وفاعليته في تحريك العالم الروائي»(سليمان،1994: 224)

قالت نورا في حديث نفسها مع الله: **فلم جعلتني أنثى موصومةً بالنجاسة حين تحيض، و موسومةً بالنقص في كل حين، وموصوفةً بالإعوجاج على لسان الناس أجمعين.** (زيدان،2016: 102) فهي تثور على النظرة الدونية المنبعثة من الفكرة الهيلينية والتي تدل على نجاسة المرأة ونقصها واعوجاجها فإن الصوت النسوي هنا احتياجي على كل ما ينتسب الى الله خالق المرأة ومهيمنها.

هناك عدد من الأوصاف يخصها الناس للمرأة:..**ولقسوة اللغة التي تصف المرأة بصفات مذكّرة.عاقر.ولود.عانس.ناشز.نؤوم!**(زيدان،2016: 114)

مدرس اللغة العربية يقول لنورا: **إن الرجل لا يجوز وصفه بالعاقر، لأنها صفة للنساء! سألته عما يُوصف به الذي لا يُنجب من الرجال فقال: يُقال له «الأبتر»؛ لأنه يكون مبتور الذكرى، وليس له ذرية تحمل اسمه بعد وفاته. قلت له: يعني النساء في كل الأحوال مبتورات، وفي بعض الأحوال عاقرات! قال بعدما سَرح بخياله برهة، وانتبه: بلاش قلة حيا، روحي على حصتك.(زيدان،2016: 112)** الإيديولوجية التي يخاطب المرأة في لغة ما، ممكن أن تمثل الإيديولوجية المهيمنة في تلك المجتمع، يشير الحوار

السابق بين مدرس اللغة العربية ونورا الى بعض المعاناة التي تعانيها المرأة العربية في مجتمع بطريركي بسبب صفات ينتسب الى المرأة التي لا جديرها ويريد صوت غالب يعني الذكوري أن يكون المرأة ضعيفة.

حياة المرأة إذن صعبة و صعبة جدا، و لا يرد حديث عن المرأة إلا ورود معه حديث آخر عن الجنون، المأساة.

2-4-معاناة المرأة:

إن المعاناة بسبب الحاجة المالية والمفاجأة التي حصلت لأمل(اغتصاب رجل باسم جعفر الفران لها في الرابعة عشرة من عمرها) العنصران الحاسمان في تشكيل مأساة "أمل" وهما العنصران سببا على أن أصبحت أمل نموذجا للامعيارية أو حالة فقدان المعايير(م.ن:105) وشعورها العدواني بنسبة إلى الرجال. **هي(أمل) لا تحب الرجال، لكنها ترى ضرورة استعمالهم للوصول إلى ما تريد المرأة، فهذا عندها هو سبيل النساء الوحيد لاسترداد ما سلبه الرجال منهن..(زيدان،2016: 66)**

تشعر المرأة بأنها ضعيفة، ومن ثم فهي بحاجة للذكر. لكن هذا الاحتياج له مبرراته ودوافعه، من تلك الدوافع:

31. لكي يحقق لها الأمان الاقتصادي؛ قالت أمل لنورا « **فالنساء تعاني بسبب الاحتياج المالي، فترضخ للرجل لأنها لا تستطيع تسيير أمورها الا بالاعتماد عليه للإنفاق عليها.»(زيدان،2016: 122)** إذن في المجتمع الذكورية وفي المجتمعات التي يهيمن عليها الاستبداد، يحافظ الرجال دائما على حاجات المرأة المالية لفرض سلطتهم على النساء. فالتمكين الاقتصادي للمرأة والمساواة بين الجنسين لازم لكل المجتمع.

32. قد يكون احتياج الأنثى للذكر احتياجاً عاطفيا خالصا، يسرد نورا: « **...في بداية شهر أكتوبر، كنتُ جالسةً بجوار أشرف، ... ملتُ برأسي حتى استراح على كتفه اليمني، ...أحسستُ لحظتها بأن العالم آمن...هذه هي الحياة، وما عداها هباء. (زيدان،2016: 209)** لإنجاب الأولاد، «**...جلب لي طبيبا أخبره بأنني حُبلى. احتار حيناً، ثم فرح فجأة وزعق بفخرٍ قائلا إنني سأنجب له ولداً، وسوف يسميه باسم جده:**

مبروك»(زيدان،2016: 32)

سمحت رواية يوسف زيدان بالكشف عن أصوات نسائية، النساء اللاتي يعشن بالتفرد في المجتمع المصري وهنّ في ثلاثة أجيال:

فانتبهت يومها إلى أننا«نور وأمل وأمها(توحة) و أنا» ثلاثة أجيال مؤنثة، تتوارث البؤس، واستبد بي الخوف على مستقبل ابنتي.(زيدان،2016: 104)

تعاني ثلاثة أجيال مؤنثة بسبب فقدان الجنس المذكر، توحة «زوجها القتيل»(م.ن:26)، أمل«طلقت من زوجها حسن»(م.ن:86)، نورا «اعتقل حبيبها محمد في معتقل جونتنامو»(م.ن:198) بعد زواجها بمفتاح «طلقت بالطلاق البائن»(م.ن: 56) إذن نشأت بنتها نور دون أب. «بعد مولود نور بعشرة أيامها مات أبي بالمستشفى الأميري»(م.ن:36) من الطبيعي أن يحتاج الرجل إلى المرأة وأن تحتاج المرأة إلى الرجل وحياة أحدهما بدون الأخرى يسبب بمعاناة بعضهما بالبعض.

نورا امرأة مثقفة ومتعلمة وعلى الرغم من المشاكل التي حدثت في حياتها: المطلقة، تكون الأب والأم لطفلها، كسب المعاش، العمل والتحصيل..لاتستسلم ولاترتكب الخطيئة«**أنني لست من النساء المائلات مع الهوى(زيدان،2016: 189)** وتشارك في التطريز لكسب معيشتها،«..**فأقوم بإضافة التطريز اليدوي المطلوب..»(زيدان،2016: 58)** وفي وقت لاحق، ستكون سكرتيرة مكتب الهندسة « **يقول أبو ياسمينة أو الدكتور حاتم: لي إن سكرتيرة مكتبة الهندسي ...سوف تترك العمل معهم منتصف الشهر القادم وقد رشحتني سمسمة يقصد ياسمينة للعمل في مكانها(المصدر في نفسه،132)** يحضر جنبا الى جنب نورا شخصية أخرى من النساء اسمها أمل وهي مثال للإنسان اللامعيارية أو فقدان المعايير التي مشغول يوم واحد في بوتيك، وفي الليل يذهب إلى الديسكو وتكسب المال الوفير من هذا الطريق. « **قالت أمل :... معايا سبع بنات أو تمانية بيشتغلوا في البوتيك، وبنسهر كل يومين مرة الديسكو..(زيدان،2016: 122)**

إذن تعتبر نورا وأمل مثالين لأصوات مختلفة في هذه الرواية، نورا هي عينة من النساء اللواتي لا يفعلن أي شيء يتنافى مع العرف على الرغم من الصعوبات في حياتها، نورا

هي صوت المرأة الحرة التي تعبر عن صوتها لتحرير المرأة من المشاكل والعقبات التي تواجه المرأة كالمقطع التالي:

بعدما تحررت نورا من الحجاب قلت لنفسها«**ولن يخجلني كوني امرأة، ولن أطمر عليَّ الهلاهيل. لستُ عورة كما يزعم بعض الجهلة المشوّهين، الذين وجدوا لأنفسهم أتباعا من الجهلة والمشوهين. أنوثتي أغلى من أن نبتذال، وأعلى من أن تحتقر، وأقوى من أن يستهان بها. سأحتضن آلامي السابقة وذكرياتي، وأتجاوزها كلها، وأطير بأجنحة الحرية نحو غدي. أنا حرة.(زيدان،2016: 140)** تنتقد الحديث الذي رواه الترمذي عن عبد الله بن مسعود عن النبي :المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان (الترمذي،1996: 476)

لكن تكون أمل أصوات النساء المتشائمات حول المعاناة التي قد سبب جميع الرجال على المرأة فتغيرت طريقة حياتها تماما.

أما صوت الأم (توحة) فهو على النقيض من صوت بنته أمل «**لا تكف عن الدعوات وعن ذكر الرب الإله»(زيدان،2016: 252)** وتمتماز صوت الأم بخاصية التذكير، والتنبيه والنصح و التوجيه في جسد الرواية.

تعتقد نورا أن الأمهات كلهن يعانين في المجتمع.(زيدان،2016: 187) و **أن الرجال لن يعرفوا أبدًا معاناة الأمهات في ألم الولادة..(زيدان،2016: 34)**

3-4- النظام البطريركي:

من نظرة النقد النسوي، تعتبر الرؤية البطريركية التي تمارس الهيمنة على المرأة لجهلها دونية وهامشية، نظام فكري مسيطر على الجوامع البشرية طول التاريخ.(اكبرى زاده والآخرون، 2014: 19) في نظام البطريركي المرأة حبيسة بين أربعة جدران واقتصرت مهمتها على الإنجاب والقيام بأعباء المنزل وتربية الأطفال.

وبقدر ما اقترب المؤلف من مشاعر المرأة وهواجسها وآلامها وأحلامها يؤكد –على لسان البطلة– أن بلوغ هذا الموقع عصي إلا على قليل من الرجال: **ولا يفعل كالحمقى من عوام الرجال، الذين يزهدون حين يتوهمون أنهم امتلكوا المرأة، فيهربون منها إلى غيرها. رغبة في الاستعلاء وظنًا منهم بأنهم سوف يلمسون سرّ الأنوثة، الجاذب**

المشوق، بالتوغل في نساء كثيرات . مساكين. لم يتعلموا من الامهات ولا من تجارب الحياة، أن للأنوثة جوهرا واحدًا ووجوها لا حصر لها.. المرأة واحدة، أما أحوال النساء فهي على عدد أنفاس البشر وهذا سرّ لا يدركه من الرجال الا مَن كان راقيا. (زيدان،2016: 190)

مفتاح المبروك حين عرف أنوثة المولودة، ترك لخزينة المستشفى مبلغا من المال وانصرف مغاضباً.(زيدان،2016: 35) فيمكن التعرف من فعل وسلوك مفتاح المبروك، أن التفكير التقليدي–الانزعاج من ولادة طفلة– لا يزال موجودا في القرن الحاضر وكما جاء في القرآن الكريم: «وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ»(نحل/51) ويمكننا أن نقول هذا الفكر تقوم على إيديولوجية أبوية.. الأنا الرجولة لا تقبل الآخر النسوية.

تقول أوتيز إن المفاهيم التي تشكلت حول الأنوثة والذكورة ترجع إلى التنشئة الاجتماعية وبسبب السياقات الثقافية التى مرت بها المجتمعات الإنسانية من حيث ارتباط الذكر بالإنتاج والحياة العامة والقوة والإرادة بينما الأنوثة ترتبط بالتوالد أو إعادة الإنتاج والحياة الخاصة والتبعية.(باقادر،2004: 33) وتتجلى الفكرة نفسها في كلام المقدم ولاء بيه «**انه يفضل أن تبقى المرأة في بيتها(زيدان،2016: 154)** وكأن المرأة في هذه المشاهد وغيرها غير مؤهلة للخوض في المجالات المهمة فحسبها أن تكون ربة البيت. إذن صوت الرجولة يذلل النساء تماما وهو بصوت عال جدا أنه يدعو نظرة جاهلية وغير متساو من أعماق التاريخ. قامت هذه الفكرة في المقطع التالي أيضاً من الإيديولوجية الذكورية التي تدل على العمل للرجل فقط. **ولما أرادت(ياسمينة) أن تعمل مدرسة لتملأ فراغ أوقاتها، استعمل أبوها علاقاته وأوجد لها وظيفة بمدرسة فخمة اسمها «الشويفات» لكن زوجها رفض متعللا بأن العمل عيبٌ على الهوانم، وعار على أزواجهن !(زيدان،2016: 108)** ولا شک أن خروج المرأة من بين جدران البيت إلى العمل هو الحجر الأساس الذي يبنى عليه استرداد المرأة لحقوقها الطبيعية كانسانه. (السعداوي، 1990: 170)

في انتصاف الليلة رنّ هاتف نورا ولكن لم تنهض من مكانها حتى أن تجيب، وتقول في نفسها «**قد يكون اتصالا أخطأ الرقم أو معاكسة سمجة من أحد الرجال الفُراغ الذين**

يخيّل لهم غباؤهم،أن المرأة المُطلقة لعوبٌ تعاني من فوران الشهوات، وتتمنى الارتواء بالارتماء تحت أقدام أول رجل يُداعبها باستهانةٍ، أو يقتحمها بإقدام. كأن المُطلقة عند حثالة البشر هؤلاء، مريضة تميل بطبعها إلى مزيدٍ من التعذيب.(زيدان،2016: 16)

يلاحظ في هذا المقطع نظرة وفكرة الرجال على المرأة المطلقة.**سيكون عقد الإيجار باسم«توحة» باعتبارها الأم والجدة، لأن المُلاك لن يرحّبوا بتأجير أماكنهم لامرأة في منتصف العمر، تفادياً لإثارة الشكوك.(زيدان، 2016: 130)**

قلتُ: شوفي يا آنسة، المجتمع العجيب بتاعنا ده، فاكر في نفسه إنه ذكوري، بس هو أساسا بعيد عن الذكورة وعن الأنوثة، لأنه أصلا بعيد عن الإنسانية وبصراحة أكثر، هو مجتمع متخلّف. يغذي في الولد من صغره، فكرة أنه رجل «يا ولد خليك راجل»،ولا يبشر البنت بأنها ستكون امرأة، فتغيب عنها صورة« الأنا الأعلى» التي يجب أن تسعى للوصول إليها. ولذلك تجتهد كل بنت لشقّ طريقتها منفردةً، من دون نموذج أعلى تقتدي به وتسعى إليه.(زيدان،2016: 43-42)

تقول سيمون دي بوفوار[1]«إن المرأة لا تولد امرأة بل يصنعها المجتمع امرأة فالتربية والقيم والتقاليد والأعراف..هي التي تحولها إلى المرأة»(الربيعي،2010: 22)

(1) - **Simon de beauvoir**

النتائج:

برزت ثلاثة أجيال مؤنثة في هذه الرواية التي لكل جيل إيديولوجية خاصة ومعاناة خاصة وكامن في صوتهن أفكار وقد لخصناها في الجدول التالي:

الجيل	الشخصيات	دور	الأصوات	لون الإيديولوجيا	معاناتهن
الأول	توحة	الهامشية	تمتاز صوتها بخاصية التذكير، والتنبيه والنصح و التوجيه	الإيديولوجية الإسلامية التقليدية	فقدان الزوج(زوجها القتيل)،كسب المعاش،ترك بنتها أمل
الثاني	نورا	المحورية	داعية الى حقوق النساء	الإيديولوجية التحررية والنسوية	حبيبها في السجن،الأعمال المنزلية المملة والعمل في المجتمع،مات أمها ثم أبوها، المطلقة،صارت الأم والأب لبنتها،كان حبيبها الثاني بعيدا عنها
	أمل	المحورية	صوتها مماثل للأصوات التي تخالف الرجال	الإيديولوجية اللامعيارية	إغتصاب رجل لها في الرابعة عشر من عمرها، المطلقة،فريسة للرجال،الشعور بالغربة
	ياسمينة	المحورية	يلاحظ في أفكارها الصوت التحرري	الإيديولوجية التحررية والنسوية	زوجها رفض أن تعمل مدرّسة،زوجها لا يمكنه الإنجاب، المطلقة
الثالث	نور	الهامشية لأنها طفلة	ليست لها صوت	-------	فقدان الأب

لم يُشكّل هذه الرواية من الروايات البوليفونية حسب رؤية باختين فالنتائج تشير إلى المواضيع التالية:

برزت ثلاثة أجيال مؤنثة في هذه الرواية التي لكل جيل إيديولوجية خاصة ومعاناة خاصة وكامنة في صوتهن أفكار وقد لخصناها في الجدول التالي:

لم يُشكّل هذه الرواية من الروايات البوليفونية حسب رؤية باختين فالنتائج تشير إلى المواضيع التالية:

33. تحمل الشخصيات فى الرواية خطاباتها الإيديولوجية الخاصة فكل شخص يتميز بإيديولوجية خاصة ويعبر عن رأيه بالحرية دون زيف أو تغيير لكلامهم بعبارة أخرى يحاول الكاتب أن تتّخذ الحياز في سرد الأصوات إلى أنّه فشل في بثّ الأفكار والإيديولوجيا في فضاء الرواية على قدم المساواة وفي كل من الروايات توجد إيديولوجية غالبة بالنسبة إلى الإيديولوجيات الأخرى وفي الواقع تتجلى في هذه الروايات التعدّد اللغوي واستدعاء (التناص) أصوات المثقفين، والسياسين، والإسلاميين أصحاب الدين وحتى في نقل أفكار وأصوات عامة الناس.

34. في هذه الرواية واجهنا طائفة من الأصوات المتباينة المتحاورة فيما بينها وبين ذواتها حينا وبينها وبين غيرها حينا آخر، كاشفة عن همومها وآلامها، متطلعة لآمالها وطموحاتها، متأملة لمستقبلها وآفاقها ومنها صوت الأنا المرأة وصوت الآخر الرجل.

35. تُعتبر معظم الشخصيات في الرواية لطبقة اجتماعية أو فكرة أو إيديولوجية خاصة وغالبيتها من الطبقة المثقّفة ونسمع فيها صوت «نورا» بوصفها المرأة المثقفة وهي ترسم إيديولوجية نسوية وتحررية وفي جنب هذه الإيديولوجية تظهر الإيديولوجية الذكورية.

36. حضور الأصوات النسوية حسب تواجدهم وفاعليتهم في الرواية أكثر من الرجال؛ ويعرض قضايا عدة من الحب، والأمومة، والزواج، والطلاق، والسفور والحجاب، ومعاناة المرأة المصرية وبؤس النساء في مجتمع ذكوري، من خلال موقف البطلة الساردة التي تروي قصتها لهذه الرواية. ومن ثم، يمكن أن نعتبر هذه الرواية داعية لحقوق المرأة، لأنها تمثل الواقع الاجتماعي الموجود.

المصادر والمراجع:

1. قرآن كريم

2. أبونضال، نزية(2002). **تمرد الأنثى في الإبداع النسوي العربي: ملخص أبحاث مؤتمر المرأة العربية والإبداع**. المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة.

3. اكبرى زاده والآخرون(2014). **دراسة سوسيونصية في رواية «ذاكرة الجسد» لـ«أحلام مستغانمي»**.مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها،العدد 19.

4. باختين،ميخائيل(1986).**شعرية دوستويفسكى**، تر:جميل نصيف التكريتي، بغداد: دار وبقال،ط1.

5. باختين،ميخائيل(1987).**الخطاب الروائي**.تر: محمد برادة، القاهرة:دارالفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1.

6. باختين،ميخائيل(1988).**الكلمة في الرواية**.تر: يوسف حلاق،دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

7. باقادر، أبي بكر(2004). **قراءات في علم الاجتماع**. ط1،بيروت: دارالهدى.

8. برادة،محمد(1996).**أسئلة الرواية،أسئلة النقد،الرابطة**. الدار البيضاء.

9. الترمذي(1996). **الجامع الكبير**.مجلد الثاني.بيروت: دار الغرب الإسلامي.

10. حجازى، أحمد (1988).**المثقف العربي والتزام الإيديولوجي**، مجلة الوحدة،ع40.

11. الداديسي، الكبير.(2018).**مسارات الرواية العربية المعاصرة**.بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة.

12. داودي، سامية(لاتا). «**صوت المرأة في روايات إبراهيم سعدي**» رسالة الدكتوراه،الأدب العربي، الجزائر:جامعة مولود معمري – تيزي وزو.

13. درابسة، محمود(1992) **الغربة في شعر حسن بكر الغزازي**، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، م14،ع 1، اللاذقية.

14. دي بوفوار،سيمون(2015).**الجنس الآخر «الوقائع والأساطير»**.تر: سحر سعيد.دمشق: الرحبة للنشر والتوزيع.ط1.

15. زيتوني،لطيف(2002). **معجم مصطلحات نقد الرواية**. لبنان: دار النهار، ط1.

16. زيدان،يوسف(2016).**رواية نور**.القاهرة: دارالشروق.

17. الربيعي،صاحب(2010). **المرأة والموروث في مجتمعات العيب**.لامک: دار صفحات للدراسات والنشر.

18. السعداوي، نوال(1990). **المرأة والجنس**. الإسكندرية: دار ومطابع المستقبل، ط 4.

19. صرصور، فتحية إبراهيم(2007). **زينب فواز العاملي رائدة الرواية العربية**. دنيا الوطن. فلسطين.

20. طعام، حفيظة(2016).**صورة المرأة في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية«تلك المحبة» للحبيب السايح نموذجا**– المؤتمر الدولى الثاني عشر الجزائر(الرواية العربية في الألفية الثالثة ومشكل القراءة في الوطن العربي)، لبنان: مركز جيل البحث العلمي.

21. حنان، عقيل(2016). **نور«رواية عن المرأة العربية في المعتقل الكبير**صحيفة عربية يومية» العرب»السبت22/10/2016 السنة 39 العدد: 10432 لندن.

22. مرتاض،عبد الملك(1998).**في نظرية الرواية**؛ بحث في تقنيات السرد. الكويت: عالم المعرفة.

23. مشفقى،آرش وهمكار(1389)،«**جريان سيال ذهن» در داستانهاي «مصطفي مستور»**، فصلنامه علمي پژوهشي «پژوهش زبان و ادبيات فارسي»، شماره هفدهم ، تابستان 1389:209 -181.

24. مفقودة،صالح(2009). **المرأة في الرواية الجزائرية**. دار الشروق للطباعة والنشر، ط2

25. نبيل،سليمان(1994). **فتنة السرد والنقد**،دمشق: دار الحوار للنشر والتوزيع.

26. وتار، محمد رياض(1999). **شخصية المثقف في الرواية العربية السورية** .من منشورات اتحاد الكتاب العرب.